

النشاط العسكري للمرأة خلال العهد العثماني ثورة الأميرة أم هاني بالزيبان أنموذجا

The Military Activity of Women During the Otman Era – Princess Uom Hani in Ziban As a Mogel

شهرزاد شلبي

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، c.chelbi@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2019/10/28 تاريخ القبول: 2019/06/19 تاريخ النشر: 2020/12/31

Abstract:

History witnesses that the algerian woman -without putting aside the masculine nature of the societies backthen- has shown quite a strength , vitality and efficiency that served her well in earning respect and appreciation within her family and society. Also her participation in the matters of the daily life has expanded and became substantial at the times of peace and at the times of war, besides her role as the base of the family. That history has written down many times that women took charge and held responsibilities where she were the commander and had the final word in a crucial matters at the hardest times , and the easiest.

The political and the militairy history of the algerian woman at the Ottoman reign is seen as one of the important sides that the historians didn't go deep into it ,and considered the women as a minority even with their knowledge of thier importance and availability of the resources that can be well used to study this part of history.

KEY WORDS: OUM-HANI, REVOLUTION, AFFINITY , ZIBAN, OTTOMAN ADMINISTRATION, BEY OF CONSTANTINE.

الملخص

إذا كان التاريخ يشهد أن المرأة الجزائرية من القديم ودون سلخها عن طبيعة أغلبية المجتمعات في ذلك العهد، قد استطاعت بحيويتها وقوتها وكفاءتها أن تعمق على الدوام مظاهر ومعاني الاحترام والتقدير لها وسط الأسرة والمجتمع، كما تمكنت من توسيع مشاركتها في الحياة اليومية العامة بكل مجالاتها في الحرب والسلم، بالإضافة إلى اعتبارها قاعدة أساسية للأسرة، وإذا كانت مراحل معينة من هذا التاريخ قد سجلت تولي المرأة لمسؤوليات قيادية، كانت فيها صاحبة الأمر والنهي وصاحبة الكلمة الأخيرة في جلائل الأمور وقت الشدة واليسر.

يعتبر تاريخ المرأة الجزائرية السياسي والعسكري في العهد العثماني، أحد الجوانب المهمة التي مازال الباحثون لم يخوضوا فيه بجدية، إذ اهتمت هذه الدراسات غالبا بالنساء كإحدى جماعات أقلية رغم علمهم وتوفر أنواع من المصادر المختلفة والمتنوعة التي يمكن الاستفادة منها في دراسة هذا الجانب. الكلمات المفتاحية : أم هاني ، الثورة، المصاهرة، الزيبان، الحكم العثماني، باي قسنطينة.

1. مقدمة:

يعد موضوع النشاط العسكري والسياسي للمرأة في العهد العثماني، من بين الجوانب التي لم تحظى باهتمام الباحثين، وذلك لقلة المادة العلمية وتشتتها بين المصادر الأوروبية المتمثلة في كتب الرحالة ومذكرات الأسرى، بالإضافة إلى تركيز جل الكتابات في الفترة الحديثة على دورها ومساهماتها في الحياة العامة، وكذا مشاركتها أعمال البناء الحضاري، فالأفكار الاجتماعية والثقافية المحافظة، حصرت مشاركة المرأة في أدوار معينة وضمن إطار محدد لا يمكن تجاوزه، فتمتعت بمجموعة من الحقوق التي كفلتها لها الشريعة الإسلامية، والتي رفعت بها تهمة القصور عنها، وأهلتها لإدارة أموالها والتصرف فيها بكل حرية، وهذا ما ينفي الاعتقاد السائد في تلك الفترة على أن المجتمع الجزائري كان يسيطر عليه الرجل، وهذا دليل على أهمية دورها في الحياة الاجتماعية، لا كما إدعته بعض الكتابات على أن دورها كان ثانوي.

ففي منطقة الزيبان تمكنت المرأة من تولي القيادة العسكرية، ومثال ذلك الأميرة أم هاني ابنة رجب باي قسنطينة، الذي اكتسبت منه خبرة وتجربة كبيرة في أمور الحكم، فبعد وفاة زوجها أحمد بن محمد السخري، تولت القيادة وأصبحت تصدر الأوامر، وتجتمع بزعماء القبائل المجاورة لمناقشتهم في الأمور والعسكرية.

كما قادت معارك عسكرية كثيرة للفوز بمشيخة العرب، وتمكنت من الانتصار على خصومها، واستحوذت على مناطق كانت تابعة لهم، فامتد نفوذها إلى الصحراء، فاعتبرت من أكثر النساء جراً وشجاعة، فتحدث معظم قبائل الزيبان معها، قبل أن تقع ضحية للمؤمرات والتحالفات ضدها، فضلت الانسحاب والعيش في عزلة.

كيف تمكنت أم هاني من فرض وجودها في فترة الحكم العثماني؟ فيما تمثل نشاطها العسكري في تلك الفترة؟ وماهي نتائج هذا النشاط وما موقف السلطة الحاكمة منه؟

2- مكانة المرأة خلال العهد العثماني

لقد كان للمرأة في المجتمع الجزائري مكانة هامة، حيث لعبت دوراً أساسياً في الميدان الاقتصادي والاجتماعي (طبان، 1991/1990، صفحة 13)، فهي أساس العادات والتقاليد والقيم المتوارثة عبر الأجيال، غير أن حياتها المحتشمة داخل المنزل حال دون التعرف على أوضاعها بدقة (شريط و آخرون، 1965، صفحة 156)،

فهناك من حاول تغييب الدور الحضاري للمرأة في المجتمع، وهذا يرجع إلى خصوصية المرأة وعدم خروجها الدائم إلى الشارع، إلا برفقة زوجها أو أطفالها (طبان، 1990/1991، صفحة 13)، وعلى الرغم من هذه الخصوصية إلا أن هناك من النساء خاصة في المناطق الريفية كن يتمتعن بحرية كبيرة في الخروج من المنازل، في حدود البيئة والتقاليد الدينية، كما كان البعض منهم يقاسم الرجل متاعب الحياة ومشاق العمل، وقد وصف شلوصر نشاط المرأة بقوله: "... تستطيع امرأة واحدة القيام بالعديد من الأعمال، ففي الفجر تحلب الأبقار والأغنام، تنظم الخيمة، وتسوق الماشية إلى الرعي، وتهيي الزبدة، وتنسج ألبسة للرجل والأطفال، وتحضر الفطور للأسرة... وتهتم المرأة بربط الماشية وحلبها، وتغزل الصوف بواسطة مغزلا" (شلوصر، صفحة 93)

كما أن المرأة كانت تحافظ على زيارة الأهل والأقارب، بالإضافة إلى خروجها للتنزه في الحدائق العامة (شلوصر، صفحة 94)، وعلى الرغم من أن التعليم في تلك الفترة كان مقتصرًا على الرجال، إلا أن بعض بنات الأغنياء شذت عن هذا الوضع، فكان المعلم أو المدرس يحضر إلى بيوتهن (سعد الله، 1981، صفحة 341).

والمرأة سواء كانت بالريف أو المدينة كانت تتمتع باحترام خاص من الرجال (شريط و آخرون، 1965، صفحة 156)، فعلى مستوى الخدمات الاجتماعية والأعمال الخيرية، نجد أنها ساهمت في تحبيس الكتب ونحوها على المساجد ومراكز التعليم (سعد الله، 1981، صفحة 159)، كما ساعدت الكثير من الفقراء والمحتاجين بأموالها الموقوفة (قشي، 2005)، كما تمتعت بمجموعة من الحقوق، على عكس الشائع من الآراء، فكان لها الحق في الحصول على الممتلكات وشرائها وإدارتها وبيعها، بما تراه مناسبًا لها دون تدخل من أحد، وقد كشفت سجلات المحاكم الشرعية عن حجم الثروات التي كانت للنساء سواء عن طريق البيع أو الشراء أو الهبة والميراث والوصية كما كانت تلجأ للمحكمة في حالة حدوث إنتهاك لأي أملك خاصة بها، وهذا ما أكدته سجلات المحاكم الشرعية (وثائق).

3- الحياة الاجتماعية والسياسية بمنطقة الزيبان خلال العهد العثماني

تميزت الحياة الاجتماعية في منطقة الجنوب القسنطيني أثناء فترة الوجود العثماني بالطابع القبلي عموماً، وقد اعتمدت السلطة العثمانية في سياستها لفرض وجودها على قوة الرباط الروحي فاستعملت قوى محلية تمثلت في العائلات المتنفذة ورجال الدين لحفظ التوازن بين شتى القبائل (روزو، 2005، صفحة 92)، خضعت عاصمة الزيبان بسكرة للحكم العثماني في النصف الأول من القرن 17، حيث أوكلت إدارة المنطقة إلى عائلة بوعكاز¹، في الشمال وبني جلاب² في الجنوب.

كما شكلت المنطقة تجمعاً سكانياً تحت الإدارة السياسية لمدينة بسكرة، وأهم ما ميز هذه التجمعات هو الطابع البدوي المعتمد على نظام العشابة، وتبادل الخدمات في النقل بواسطة الإبل في مقابل دفع ضريبة أخوية (أندي، أندي، و لاكوست، 1984، صفحة 383).

عمل العثمانيون منذ بداية حكمهم للجزائر على كسب ولاء بعض القبائل وفي مقدمتها عائلة بوعكاز فحاولوا مد نفوذهم على شيوخها، ويبدو أن أول اتصال للعثمانيين بهم كان في عهد خير الدين بربروس، وتجلّى ذلك في مرافقة أحمد بن علي بوعكاز الحملة العثمانية اتجاه بسكرة سنة 1541 بقيادة حسن آغا .

هذا التحالف سمح لأحمد بن علي بوعكاز من بسط نفوذه في منطقة الصحراء، وعلى جزء من التل فتوسع نفوذه بفضل علاقة المصاهرة التي ربطها مع عائلة المقراني بعد تزويج ابنته من قائد مجانة (هوازي، 2009، صفحة 11).

ونتيجة سيطرته المطلقة على الصحراء أصبح يلقب "بوسيع"، لما عرف منه من شجاعة وحكمة بارزة في حل الأزمات السياسية (R.Peyronnet, 1930, p. 33) ، بعد وفاة أحمد بن علي بوعكاز خلفه أحمد السخري بن أحمد بن علي، الذي تولى تسيير أمور العائلة في فترة صعبة، حيث إضطر لمواجهة حلفا مضادا من قبائل الحراكته والنمامشة الحنانشة، ولفترة زمنية طويلة إستمرت إلى وفاته سنة 1581م، خلف أحمد السخري ثلاث أبناء هم: "علي بوعكاز بن أحمد" و"أحمد بن علي بوعكاز بن أحمد" و"محمد السخري بن أحمد بن علي بوعكاز"، هذا الأخير الذي تولى مشيخة العرب على قبيلة الذواودة بعد وفاة والده، وتزامنت فترة حكمه حكم رجب باي قسنطينة (مذكرات، 2002، صفحة 43).

4- ثورة أحمد بن السخري

تميزت العلاقة بين عائلة بوعكاز وبايات قسنطينة بالتوتر، بسبب سيطرة أسرة بوعكاز الذواودة على المناطق التابعة لها، وعدم تمكن بايات قسنطينة من بسط سيطرتهم على هذه

المناطق بل اكتفوا بما كان تدفعه هذه الأسرة من ضرائب كدليل ولائها لهم، وبمرور الوقت وبحكم تراجع غنائم الجهاد البحري والاعتماد على النظام الضريبي، وبالتحديد في عهد مراد باي (1622-1637م) الملقب ب **السفاك**، حاول القضاء على نفوذ هذه الأسرة، وإرغامها على دفع الضرائب للسلطة الحاكمة، فأصدر حكم الإعدام في حق كل من محمد بن السخري وابنه أحمد في جنان الزيتون بقسنطينة بتهمة الخيانة، فطلب الإذن من الداي بتطبيق حكم الإعدام في حق المتهمين رفقة ستة من أعيان العرب بتهمة التمرد والعصيان على السلطة الحاكمة، وبعد إستشارة الديوان في العاصمة واقف على طلب مراد باي ونفذ حكم الإعدام وقطعت رؤوسهم وعلقت فترة على أعمدة المدينة قسنطينة، باستثناء رأس الشيخ وإبنه ليشاهدها كل السكان وأخذ العبرة وكان ذلك سنة 1047/1637هـ (Charles, 1879, p. 182)، هذا ما دفع بأحمد بن محمد السخري إلى تجبير ثورة هدفت إلى الإنتقام من مراد باي لقتله أخيه وإبنه (العنتري، 1991، صفحة 36).

فبعد عام من تولى أحمد بن سخرى قيادة أسرة الذواودة وحلفائها سنة 1048هـ نظم القبائل العربية المحيطة به كالحناشنة ووصل إلى الحدود التونسية، فعمت هذه الثورة معظم الصحراء، كما حاصر قسنطينة وتمكن من قتل خمسة وعشرين رجلاً من أفراد حامية الباي، بعد الهجوم الخاطف لهم، كما أشعل النيران في مخازن الحبوب أمام أنظار الباي كما واصل زحفه على المناطق المجاورة (Charles, 1879, p. 182)، من ناحية الجنوب الغربي، بمساعدة أسرة المقراني بقيادة **"بنقة بن ناصر"**، وتمكن من إلحاق هزائم معتبرة بالجيش العثماني، مما أجبر الباي مراد على الانسحاب وطلب النجدة من علي باشا، الذي أرسل له وحدة عسكرية قدرت بـ 6000 فارس بقيادة الأغا يوسف والأغا شعبان، وتضم 400 خيمة و4000 جندي والتي إتحدت مع قوات مراد باي والتي كانت تتكون من 100 خيمة، وإلتقى الخصمان في منطقة **"كجال"** موطن قبيلة أولاد عامر المكون من بعض الأكواخ المحيطة بالولى الصالح سيدي مسعود (Charles, 1879, p. 185).

في يوم السبت 12 جمادى الأولى 1048هـ 20 أكتوبر 1638م، قرب مدينة سطيف تمكن أحمد بن السخري وخلفائه من إلحاق هزيمة كبيرة بقوات الباي، فقتل عدد كبير منهم كما استولى على خيمهم وأسلحتهم (مذكرات، 2002، صفحة 44)، فأجبر مراد باي على الفرار لإنقاذ حياته، وجهل مصيره بعد المعركة وقد انتشر مثل في المنطقة كجال "هل

رجعت برأس مراد باي" وكتفسير لهذا المثل ربما يكون أحمد بن سخري وضع مكافئة لمن يحضر رأس الباي.

كما قتل في هذه المعركة كاتبه "شريط بن صولة" (Charles, 1879, p. 184)، انتقاما لما كان يقدمه من نصائح سياسية للباي، إذ بسبب ذكاه ومكره تمكنت قوات الباي من إلحاق بعض الهزائم بقوات أحمد بن السخري (هوازي، 2009، صفحة 13)، وما ساعد أيضا على تحقيق الإنتصار هو تزامن هذه الثورة مع ثورة " خالد بن نصر" زعيم لأسرة الحنانشة، التي اندلعت نتيجة هدم الباستيون الفرنسي bastion de France بالقالة والذي كان يمثل مورد رزق كبير للأسرة حنانشة.

وأمام عجز الباي في القضاء على الثورة سارع في طلب الصلح، الذي توصل له سنة 1647م بإتباع سياسة المصاهرة بين الحكام العثمانيين والأسر الحاكمة (جميلة، 2015، صفحة 123) بهدف كسب دعم هؤلاء مستقبلا والمحافظة على استقلالهم وسيطرتهم والحقيقة أن العاطفة الدينية كانت أقوى العوامل التي قربت بين الطرفين الجزائري والعثماني، فكان وقوف السكان إلى جانب العثمانيين في أغلب الأحيان تلقائيا ودون إغراء من أحد (Emest, 1903, p. 248)، وتم ذلك بعد زواج ابنة رجب باي أم هاني من أحد أبناء محمد بن السخري الذي يلقب "ابن القيدوم" (حرزالله، 2008، صفحة 80)، وانجبت منه أربعة أولاد (مذكرات، 2002، صفحة 43)، إذ مثلت سياسة المصاهرة أقوى الظواهر التي ميزت الحياة الاجتماعية بباليك قسنطينة التي انتشرت بين البايات والأسر المحلية الحاكمة، وهدف البايات من هذه الروابط هو ربط مصير الأسر المحلية ذات النفوذ السياسي والعسكري أو الديني بالسلطة المركزية بهدف ضمان ولائها من جهة، وعدم ثورتها ضدهم من جهة ثانية (جميلة، 2015، صفحة 206)، وحسب الوثائق الأرشيفية فإن أول من انتهج هذه السياسة من بايات قسنطينة هو رجب باي بعد تقربه من عائلة بوعكاز، بعدما عجز عن كسب ولائها واعترافها بحكمه، وامتناعها عن دفع الضرائب، حيث تزوج خير الدين بربروس من أسرة ابن القاضي، وعرفت هذه السياسة في أوروبا بالزواج السياسي.

5- ثورة الأميرة أم هاني

1-5 مواصفات أم هاني

أم هاني هي إحدى بنات الباي رجب (Cataldo, 1988, p. 25) من أمة إسبانية جميلة أعجب الباي بها فاشتراها وأعتقها وتزوج بها، وأم هاني بنت رجب باي تكون قد ولدت في الفترة ما بين 1646-1656م، وصفها الرحالة peyssonnel سنة 1725 بأنها فائقة الذكاء (جميلة، 2015، صفحة 137)، امرأة ناضجة تتمتع بمظهر حميل وهيئة قوية لا يتجاوز سنها ستون عام، وقوة شخصيتها حادة الطباع ونعتها بالشجاعة والفروسية والحنكة السياسية بالأناقة والنظافة وشبهها بإحدى الأميرات الأوروبيات، تجلس على سجادة وهي ترتدي مثل الأهالي برونوسا بسيطاً لكنه نقي مع عباءة لفتها على رأسها، تغطي المرأة الريفية رأسها بمنديل منسوج بطريقة جيدة بخيوط ذهبية وفضية، كما تضع معه قطعة قماش مثلثة الشكل مصنوعة من الكتان ومزخرفة بطريقة فنية عالية، تشد هذه القطعة مؤخرة الشعر بحيث يظهر منه خصلة، ومن عادة المرأة الريفية أن تترك شعرها طويلاً يصل في بعض الأحيان إلى الأرض وكانت تتزين بعقود وأساور وأقراط وخلاخل وخواتم الفضة أو النحاس وحتى الحديد (طبان، 1990/1991، صفحة 164)، وكانت تضع قرطاً ذهبياً ولها سوار حديدي ولم يكن هناك أجمل من هيئتها، والإحساس بالنظافة في خيمتها ورائحة البخور المنبعثة منها" (Desfontaines, 1938, pp. 295-372)

5-2 تولي أم هاني مشيخة العرب

بعد وفاة قيديم 1709م تولى مشيخة العرب الذواودة والرياح أحمد بن محمد السخري (Cataldo, 1988, p. 25)، وكما جرت عادة البدو في تلك الفترة (Emest, 1903, p. 248)، فقد تم تزويج أم هاني بشيخ العرب الجديد، وذلك ليتولى رعاية أبناء أخيه من جهة والمحافظة على علاقته بباي قسنطينة من جهة ثانية (مذكرات، 2002، صفحة 43)، واستغلت أم هاني كبر سن زوجها وحاولت زرع فكرة تكوين حكم مستقل في ذهن والدها باي رجب خاصة بعد تحالفه مع أسرة بوعكاز وتحالفه مع من يرفضون الولاء للسلطة الحاكمة، كما طلبت منه قطع الدنوش بحكم الأوضاع المناخية السيئة التي تمر بها المنطقة (Desfontaines, 1938, p. 372)، وعندما علم الباشا بما يخططه الباي رجب أمر بإعدامه بتهمة الخيانة ومصادرة أملاكه سنة 1674،

بعد وفاة الشيخ أحمد بن محمد السخري سنة 1790م، ترك زوجته أم هاني رفقة أبنائها الأربعة من زواجها الأول، وبعد قتل رجب باي إلتجأت والدته أم هاني وشقيقتها إليها في

الصحراء خوفاً من بطش الأتراك (Emest, 1903, p. 248)، شكّل وجود شقيق أم هاني-الذي أغفلت المصادر ذكر اسمه- خطراً على أسرة الذواودة بعد أن تسبب في إثارة الفتن بين أفراد العائلة وخصوصاً رجالة-ابنة الشيخ بن الحداد شيخ الزاوية الرحمانية المعروفة بإقليم مجانة -الزوجة الأولى لأحمد بن محمد السخري والتي أنجبت منه ثلاث أولاد محمد، وفاطمة، وفرحات بن سعيد دبّرت مكيدة لذلك الشاب حين خرج للصيد بمنطقة "فيض الغراق" قرب سيدي عقبة (Emest, 1903, p. 149)، استطاعت أم هاني من معرفة القتلة وشرعت في الانتقام منهم، وأعلنت الحرب عليهم وكان أول ضحية لانتقامها زوجها شيخ العرب أحمد بن السخري الذي قامت بقتله بالقرب من أولال 1790م، كما لقي أتباعه نفس المصير وأعلنت نفسها على رأس مشيخة العرب إذ حرصت على تعليم أبنائها وكسب محبة وولاء شعبها قادت أم هاني عدداً من القبائل الصحراوية مثل: السالمية والبوازيد وأولاد زكري وأولاد نايل، فامتد سلطانها على منطقة الزيبان ومابعدا وصولاً إلى جبل العمور (Cataldo, 1988, p. 25) كما استقرت بجنان بن عروس قرب أولال (مذكرات، 2002، صفحة 45)، وكانت تشن غارات على القبائل ممطية فرسها ذات حركات سريعة (Emest, 1903, p. 248) وكانت تندفع خلال المعارك إلى الأمام دون توقف، على الرغم من قله أسلحتها ولم يكن سلاحها سوى عصا صغيرة ترفعها في الهواء كي تحرّض بها فرسانها وتقودهم، إلا أنها قادت معارك حققت بها انتصارات باهرة ليمتد نفوذها إلى منطقة بوسعادة كما نفذت مجزرة في حق أفراد أسرة زوجها انتقاماً لمقتل أخيها لم ينج منها سوى أحد أبنائها، وهو فرحات بن رجالة وهو ابن أحمد بن السخري (Emest, 1903, p. 249) من زوجته الأولى رجالة ابنة خليفة بالتل، سليمان بن الحداد كما التجأت رجالة بابنها إلى سيدي خالد حيث استقرت تحت حماية أبناء عمومته من أولاد السخري، بعد فترة انشقت القبائل الموالية لأم هاني وثارَت عليها، وذهب عدد من ممثليها إلى سيدي خالد للقاء فرحات بن السعيد ابن شيخهم بن السخري والتف حوله عدد من القبائل التي كانت تابعة لأبيه.

سارت أم هاني بعد علمها بالخبر للقائه، والتقى الجمعان في المنطقة المسماة "القماح" (جميلة، 2015، صفحة 123)، بين أولاد جلال وليوة، وقُتل في المعركة ابنان لأم هاني³، وانقسم العرب بعدها إلى قسمين: قسم مع أم هاني يمثلها أهل بن علي وأولاد سالم والشرفة

والغمرة، وقسم مع فرحات بن الصخري يمثله السالمية والبوازيد ورحمان وأولاد زكري وكل قبائل البدو غرب إقليم الزيبان، في إحدى المعارك صعد الصحراويون إلى التل حسب عادتهم وتقابلوا مع قوات أم هاني، وفي تلك المعركة قُتل ابنها الآخران، وعند ذلك لجأت مع عدد من أنصارها وخدمها إلى منطقة بازر قرب العلمة بسطيف (Emest, 1903, p. 249)، وهناك استطاعت مد نفوذها على منطقة هامة، وشكلت خطرا على قوات باي قسنطينة (Desfontaines, 1938, p. 295) برهنت على شجاعة فائقة، حيث هزمت الباي حسين في العديد من المعارك .

وبعد انتصار بن الصخري على أم هاني أصبح هو زعيم الذواودة لذا إتحد مع أسرة بني جلاب كانت تمثل حلفا قويا مع أسرة بوعكاز الذواودة سلطان تقرت 1666 متزوج من ابنة القيدوم بن الصخري وأم هاني، وكان ذلك سببا في دخوله الحرب مع أصهاره كلفته خسائر كبيرة ضد الثائرة أم هاني، وللخروج من مأزقه طلب مصاهرتها وللإيقاع به تظاهرت بالموافقة وعند قدومه إليها بمهر ابنتها قام الرجال بقتله وإرسال جثته إلى أهله بتقرت، وبهذا اشتد الصراع بين بني جلاب وأم هاني.

وعلى الرغم من محاولة محمد بن سليمان الثائر لوالده من أم هاني وإتباعها إلا أنه هزم عدة مرات أهمها: في معركة مقارين شمال تقرت، ولم تكتفي أم هاني بهزيمة سلطان بني جلاب بل واصلت هجومها على تقرت واستولت عليها، ونصبت محمد الأكل أحد أبناء عمومة بني جلاب ، حاكما عليها الذي لم يكن أهلا للحكم فركدت الحياة السياسية والثقافية في فترة حكمه، وبقي على رأس السلطة طوال فترة سيطرة أم هاني على الصحراء بعد بلوغ الخبر إلى فرحات بن السعيد أعلن الثورة على زوجة أبيه.

وقد استعان في حروبه على الحرس الخاص لأسرة بني جلاب أولاد مولات كما ساعدهم على الإطاحة بالسلطان محمد الأكل، فهاجموا تقرت وتم قتل السلطان داخل قصره وعين مكانه أحمد بن محمد بن سليمان (Charles F. , 1886, pp. 44-47) وكانت سيطرتها على حكم الصحراء قرابة نصف قرن من 1672 إلى 1724 أعلنت خلاله الحرب على السلطة في قسنطينة انتقاما لوالدها رجب باي إلا أن الباي حسين بوقمية استطاع بفضل نفس السياسة سياسة المصاهرة إخماد هذه الحرب الطويلة، بعد هزيمته للشيخ بوعزيز بن نصر شيخ أحرار الحاناشة ومطاردته حتى جبال الأوراس وإجباره على التراجع إلى الصحراء

في المنطقة والواقعة بين الأراضي التابعة لأم هاني ومنطقة الجريد (Desfontaines, 1938, p. 296)، بينما قوات الباي عسكرت في جبال الأوراس بعد إحكام السيطرة عليها وطرده بوعزيز منها وتوزعت قوات باي في أربع مناطق على بعد 150 كلم من جنوب قسنطينة بالقرب من مجرى مائي يطلق عليه "عين اللوات"⁴، توجهها بعدها إلى حصار الأميرة أم هاني، فدارت بينهما معارك طويلة عادت في مجملها إلى أم هاني الأمر الذي أجبره على التقرب منها بالمصاهرة بطلبه الزواج من إحدى بناتها، ونظراً لتقدمها في السن وضعف نظرها، فضلت إعلان الهدنة وقبول طلب الباي "بوقمية"، وبهذا تمكن من كسب ود هذا الخصم القوي. والجدير بالذكر هنا أن أم هاني تمكنت بفضل قوتها وفروسيته أن تحكم مجتمعاً كان يستصغر قوة النساء (R.Peyronnet, 1930, p. 296).

أفاد فيرو أن أم هاني ظلت مُهابة، ولكنها نتيجة لكبر سنها وفقدان بصرها عاشت بعد ذلك حياة مغمورة حتى وفاتها⁵ وحملت بعض الحقول بالقرب من العلة إلى وقت قريب اسم "مروج بنت الباي" أقامت أم هاني مدة في منطقة الزيبان حيث مقر مشيخة زوجها، وتذكر بعض المصادر أنها اكتسبت نفوذاً كبيراً لدى القبائل البدوية.

3-5 نتائج الثورة

بعد وفاة أم هاني شهدت المنطقة صراعات عائلية حول المشيخة (بن قانة⁶ وأولاد بوعكاز)، وذلك بسبب السياسة العثمانية التي اعتمدت على تقريب أسرة على حساب أسرة أخرى، والتي لعبت دوراً فاعلاً في تغذية هذه الصراعات، وكرد فعل لهذه السياسة عملت الأسر على التحالف فيما بينها، من أجل تجنب الخطر الذي أصبح يترتبها، ويعتبر التحالف الذي وقع بين ابن شنوف وأولاد بوعكاز، نموذجاً لنظام الحماية من جهة والأخذ بالثأر من جهة أخرى (يعود سبب هذا التحالف لرغبة أحمد باي بن شنوف لثأر من عائلة بن قانة التي قتلت والده). (فركوس، 2007، صفحة 296) حيث أن السياسة التي انتهجها الحاج أحمد باي في المنطقة تجاه بعض العائلات (أولاد مقران في مدجانة وبن قانة في الزاب)، كان لها الدور البارز في هذه الصراعات والنزاعات، حيث أن الحاج أحمد باي قام سنة 1830، بإسناد منصب شيخ العرب (حسب فيرو: فإن أول من حمل اللقب هو أمير الذواودة والرياح علي بن بوعكاز بن السخري، ومنحه هذا الشرف باي قسنطينة، وجاء هذا اللقب الجديد ليخلف لقب أمير العرب)

(Feraud.L, 1878, p. 233) بإقليم الصحراء لبوعزيز بن قانة، وهذا ما اعتبرته عائلة بوعكاز إهانة في حقها كونها تزعمت المنطقة ولمدة طويلة، وهذا ما حمل زعيم أولاد بوعكاز على الرفض القاطع لقرارات الباي والإصرار على أحقيته بالمشيخة، فتحوّلت هذه الرغبة في القيادة إلى صراعات دموية بين العائلتين (فركوس، 2007، صفحة 48)

أهم نتائجها انقسام قبائل الجنوب إلى قسمين حيث ضم (قاسي، 1999، صفحة 197) القسم الأول: أهل بن علي، الشرفة، غمرة فامتنعوا عن تقديم الطاعة لشيخ العرب إلا بقوة السلاح.

القسم الثاني : البوازيد ، أولاد زكري الذين قدموا لشيخ العرب الطاعة العمياء (أوجرتي، 2005/2004)

خاتمة

- كانت المرأة في العهد العثماني تقوم بدورها الاجتماعي والاقتصادي دون تحرج، في حدود البيئية والتقاليد الدينية .
- اثبتت عقود المحاكم الشرعية مشاركة المرأة في المعاملات والمبادلات بكل أنواعها، ومساهماتها في المعاملات المالية ، لكن بقدر بسيط. كالبيع والهبة التنازل والشراء .
- إن التطرق إلى نشاط المرأة العسكري في العهد العثماني، يجعلك أمام معلومات تاريخية نادرة، إذ أن قليلاً من المؤرخين والكتاب تطرّقوا إلى هذا الموضوع، نظراً لحساسية وضع المرأة والتي نادراً ما كانت تختلط بالرجال.
- تمكنت المرأة من لعب أدوار بارزة في الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وإمتد إلى الدور العسكري الذي برزت فيه وتمكنت من تحقيق انتصارات ساحقة في معارك عدة ، بل تمكنت في إقليم الزيبان من استحوادها على مشيخة العرب كما فعلت أم هاني .
- القدرة على تحمل المسؤولية والقيادة العسكرية المحكمة التي أظهرتها أم هاني، تجعلنا أمام حقائق تاريخية مهمة، سكنت المصادر التاريخية عنها وأهمها مكانة المرأة في المناطق الريفية.

- عكست نتائج ثورة أم هاني على المنطقة حقيقة نظام الحكم العثماني لهذه المناطق التي سيطرت عليه العائلات المتنفذة، والتي إستماتت في القتال للإستحواذ على المشيخة.

• قائمة المراجع

1. الأرشيف الوطني الجزائري، وثائق المحاكم الشرعية ، علبة 44، وثيقة101
2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(16م-20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
3. أندري برنيان وآخرون، نوشي أندري، لأكوست إيف، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة إسطنبولي رايح ومنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
4. معاشي جميلة ، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ(16م) إلى 13هـ(19م)، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة الجزائر، 2015
5. حرزالله محمد العربي، منطقة الزاب قرن من المقاومة ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008م
6. زوزو عبد الحميد، الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية (1837*1939)، ترجمة مسعود حاج مسعود ، ج1، الجزائر، دار هومة ، 2005.
7. الشارق عبد الله بن محمد :سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ،المطبعة التونسية، تونس، 1929.
8. شلوصر فندلين ، قسنطينة أيام أحمد باي(1832-1837)، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)
9. فركوس صالح ، إدارة المكاتب العربية والإحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844 م* 1971م، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر، 2006.

10. فركوس صالح ، الحاج أحمد باي قسنطينة ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 2007.
11. شريط عبد الله وآخرون، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، الجزائر، 1965.
12. قاسي فريدة:«الدولة في فكر الأمير عبد القادر 1832*1847»، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ،جامعة قسنطينة، 1999،
13. قشي فاطمة الزهراء ، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005م.
14. العنتري محمد الصالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوضاعها أو تاريخ قسنطينة ، مراجعة وتقديم وتعليق :يحي بوعزيز،ديوان المطبوعات الجامعية ،1991.
15. مذكرات الشيخ محمد خير الدين ،ج1، طبعة2، مؤسسة الضحى ،الجزائر 2002م.
16. طيان شريفة ، ملابس المرأة الجزائرية في العهد العثماني، رسالة ماجستير، تخصص الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 1990-1991.
17. أوجرتي محمد :«أسرة بن قانة ومكانتها السياسية و الاجتماعية خلال العهد العثماني »، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ،قسم التاريخ،جامعة قسنطينة، 2004/2005
18. هوارى مختار : سياسة الادارة الاستعمارية الفرنسية اتجاه العائلات المتنفذة في الجنوب القسنطيني 1837*1870، ماجستير ،تاريخ الاوراس الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009
19. عمراني معاذ : « أسرة بني جلاب في منطقة واد ريف خلال القرنين 19و20م،دراسة سلسلية اجتماعية »،رسالة ماجستير،التاريخ الحديث و المعاصر،جامعة الأمير عبد القادر ،الجزائر، 2003

1. Feraud (L) :« Les Descendants D un Personnage des mille et une nuits en Algérie», RA, n°32,Alger, 1878,

2. FERAUD Charles «L'époque de l'établissement des turcs a constantine», RA, 1866. .
3. FERAUD Charles, « **Notes Historique sur la province de Constantine, les bendjellab sultans de Touggourt** », RA, n°23, 1879
4. FERAUD Charles,« Notes Historique sur la province de Constantine, les bendjellab sultans de Touggourt », RA, n° 30, Alger ,1886.
5. Hubert Cataldo, **Biskra Et Les Ziban**, collection français d afrique, France, 1988.
6. MERCIER Ernest , Histoire de Constantine, Imprimeurs-Editeurs, Constantine, 1903
7. Peyssonnel Et Desfontaines, **Voyages Dans Les Régences De Tunis Et D'Alger**, paris,1938
- 20.R.PEYRONNET , **Livre d'or des officiers des affaires indigènes 1830 – 1930** ,Histoire et annuaire ,Tome 1 , Alger , Imprimerie Algérienne , 1930.

¹ عائلة بوعكاز : تتحدر جذورها من بني هلال، وهي أسرة عريقة في المنطقة، تميزت بالشرف والشجاعة، أشهر زعمائها فرحات بن السعيد، وتضم أولاد صاولة والدواودة ينظر:صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والإحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844 م* 1971م، منشورات جامعة باجي مختار، الجزائر، 2006، ص295.

وتعتبر هذه العائلة من أعرق العائلات بالجنوب القسنطيني ويعتقد أنها من أصول هلالية إذ تتحدر من فرع أهل بن علي والذين يشكلون مع إخوانهم أولاد صولة وأولاد ضيف الله صفا قويا في منطقة الجنوب القسنطيني، ويعتقد أيضا أنهم قد اتجهوا في القرن الحادي عشر ميلادي إلى المغرب الأوسط ويعتبر

الشيخ سخري بن يعقوب بن علي من أبرز رجالاتها، تمتع منذ 1481م بنفوذ واسع في المنطقة الممتدة من قسنطينة إلى ورقلة .

واستمدت عائلة بوعكاز اسمها من المسمى على بن صخري المكنى بوعكاز لأنه كان دائما يتوكل على عكازه، قتل بالزلب سنة 1527م.

² فترة حكم بني جلاب لمنطقة الزيبان تمتد من النصف الثاني من القرن 14 ميلادي إلى غاية بداية القرن 15، وتتحدّر جذور هذه العائلة إلى الأمير بن غانية من بني مريّن وقد توجه إلى واد ريغ حيث إتخذها مقرا له، ينظر :

FERAUD Charles, « Notes Historique sur la province de Constantine, les bendjellab sultans de Touggourt », RA, n°23, 1879,p164

كما تعاونت هذه الأسرة مع الإدارة الفرنسية، حيث راسل السلطان عبد الرحمان شيخ توقرت الحاكم العام الجنرال فوارول VOIROL عارضا عليه ولائه، كما دفع له ضريبة الولاء المقدرة ب20 ألف فرنك ينظر: معاذ عمراني: «أسرة بني جلاب في منطقة واد ريغ خلال القرنين 19 و20م، دراسة سلسلية اجتماعية» رسالة ماجستير، التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الأمير عبد القادر، الجزائر، 2003، ص 58.

³ ومعنى هذا أنها أعادت الزواج مرة أخرى حسب وصف Peyssonnel الذي عالج واحدا من أبنائها سنة 1725م.

⁴ حيث ذكر أن هذا الينبوع لم يكن يخرج مائه إلا يوم الجمعة وقد أخبر الوزراء الباي بذلك، إلا أنه اعتبر الأمر خرافة ولم يصدقه، وطلب التأكد بنفسه حيث قصد المكان يوم الخميس مساء، حيث شاهد صخرة كبيرة بجانب كهف بها فتحات صغيرة، ويوجد تحتها فجوة عميقة بالكاد يظهر الماء فيها، ووقت الظهر تدفق منها ماء مشكلا نافورة واسمر خروج الماء إلى مابعد غروب الشمس حيث توقف تدفق الماء كما أمر الباي كل الحضور من شرب الماء المبارك ينظر Peyssonnel Et Desfontaines, op-cit, p295

⁵ ذكر Peyssonnel أنها أعادت الزواج، حيث عندما مر بالمنطقة التي كانت تقطن بها، فما إن علمت أنه طبيب طلبت منه علاج ابنها العياشي l'aia bachi، الذي كان مريضا جدا نتيجة إصابته بحمى شديدة، فبعد فحصه تأكد له إصابته بفيروس خبيث، حيث بدت عليه الكثير من أعراض المرض كلون لسانه الأسود ونبضه عالي جدا وعينيّه لامتعتي، وبعد أن أخبرها أنه يمكنه علاجه ، فرحت كثيرا وحاولت اغرائه بالكثير من الهدايا القيمة وبعض الأحصنة والبغال، إلا أن

الرحالة Peyssonnel Et ، فمنعته بالقوة من المغادرة إلا بعد شفاء المريض
Desfontaines, op-cit, pp370-372.

⁶ وتتحدّر أسرة بن قانة من السلالة الشريفة "الشريف السيد الحاج بن قانة بن علي بن سليمان بن عبد العزيز بن محمد بن عمر بن خالد بن يونس بن إبراهيم بن منصور المكنى قانة بن محمد بن عبد الله بن عبد المالك بن العابد بن الحبيب بن أحمد بن عيسى ابن يوسف بن عدنان بن يوسف بن محمد بن داود بن عبد الغفار بن عيسى بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن علي بن عيسى بن داود بن المهدي بن مسعود بن موسى بن عزوز بن عبد العزيز بن جبار بن عمران بن سالم بن عبد الله بن أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء " وأصل تسميتهم تعود إلى الفتح الإسلامي لبلاد المغرب فكانوا يلفون على المنازل (كنوات) ويراقبون السكان خوفا من ردتهم وعندما يسأل عنهم يجابون بهذا لفظ كان وكان مع مرور الوقت تغيرت اللهجات، ومنطق الألسن لقنوات. أنظر الشارح عبد الله بن محمد :سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ،المطبعة التونسية، تونس، 1929، ص150.

وحسب Féraud فإن جذور عائلة بن قانة إلى "قرية كوكو المتواجدة في جبال جرجرة ،أين كانت تعيش امرأة اسمها قانة (ولهذا أصبح أبنائها وأحفادها يلقبون بن قانة) " وقد انتقلت للعيش بعرض العناقطة وتزوجت برجل من هناك. أنظر Feraud (ch) : Le Sahara de Constantine, op.cit, pp88, كما عمل محمود بن قانة في مهنة الحدادة ،وتعرف من خلالها على أحمد القلي، هذا الأخير الذي قصده لإصلاح حدائد فرسه ،فتطورت العلاقة بينهما إلى حد المصاهرة حيث تزوج أحمد القلي بمباركة بنت بن قانة (والدة أحمد باي) أنظر محمد خير الدين :مذكرات ،ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ،(ب ت ط) ،ص 64. بن قانة تتحدّر من اصول بربرية قدمت من القبائل الكبرى واستقرت ناحية قسنطينة منذ مايقارب 150 سنة قبل الاحتلال غير ان افراد هذه العائلة يدعون النسب الشريف اما فيرو فيرى انه نسبة الى امراة تدعى قانة من امارة كوكو بالقبائل